على هامش النقد

من الشعر الجديد

للأستاذ محمد محمود رضوان

يأبى شعراء الشباب الذين يحمل عليهم الأستاذ الكبير « ا . ع » ، ويأبى الذين ينافحون عنهم من الشيوخ أن يقروا هذه الحملة إلا أن تكون مدعومة بأمثلة من هذا الشعر توضح نهجه وتكشف عواره إن كان فيه عوار

والأستاذ « ا . ع » يأبى ذلك ولا يرضاه ، ولعل عذره أنه لا يهاجم أشخاصاً ، بل يريد إصلاحاً فما به من حاجة إلى إثارة شاعر بعينه أو تجريحه

وللأستاذ فى ذلك رأيه ، ولكن ها هو ذا شاعر من شعراء الشباب يقدم نفسه ، ويعرض على الأستاذ الكبير قصيدة من شعره ـ لعلها من أحسن بضاعته ـ ثم يسأله رأيه فى هذا الطراز من شعر الشباب

وما على الأستاذ الكبير لو أجابه ؟ إنه لم يفعل . حينئذ رأيت ـ وأنا ممن يضيقون بهذا الشعر الجديد ـ أن أكفيه الجواب ، وأتولى عنه بعض ما أشركه فيه من رأى فى هذا الشعر

أما هذه القصيدة فهى « أين الطريق » ، وصاحبها هو الشاعر الشاب الأستاذ على شرف الدين

— ١ —

وقبل أن نناقش القصيدة يجدر بنا أن نتساءل ، أهى من الشعر الجديد حقاً حتى يمكن أن نتخذها أنموذجا ننتهي من دراسته إلى الحكم لهذا الشعر أو عليه ؟ أو بعبارة أخرى هل يرضى شعراء الشباب الذين يحوم حولهم النقاش أن تمثل هذه القصيدة مذهبهم الجديد ؟

أما أنا فأرى أنها جمعت القديم والجديد معاً . أخذت من القديم شيئاً ومن الجديد أشياء ، هى من القديم فى وحدة موضوعها ، ومن النادر أن ترى قصيدة فى هذا الشعر الجديد تدور حول موضوع مؤتلف تتسلسل أفكارها وتتواكب معانيها لبلوغ هدف واحد ، بل إنك ترى القصيدة ـ من هذا الشعر ـ فجوات لا اتساق بينها ، يطرق الشاعر معنى ثم يوغل فيه بأنماط من التشبيهات والاستعارات المتسفة والأخيلة البعيدة حتى لتخرج منه بفكرة مشوهة غير محدودة ، ثم ينتقل بك إلى آخر لا يمت إلى سابقه بوشيجة وهكذا دواليك ، حتى تنتهى من القصيدة ، التى قد تبلغ المائة من الأبيات ـ وما ظفرت منها بهدف أو عرفت بين أفكارها نسباً .

أما قصيدتنا فهى إلى القديم أقرب من هذه الناحية ، تفهم من عنوانها (أين الطريق) ما فى نفس الشاعر من حيرة . يبدؤها بيأس من الحياة جرّه عليه احترافه الأدب ، ثم يمضى فى وصف هذا اليأس وكيف أدرك قيمة الحياة فنفض منها كفه ومات شعوره فما يحس فرحا أو حزناً ، ثم يخاطب أمه وأباه فيشكو إليهما أساه وحاله اليائسة ، ويتساءل أذلك من غضبهما

والأنصار ، وزعماء قريش وغيرها من القبائل ، وما كان لهم أن يتكلموا وقد سكت الحسن والحسين وابن عباس وابن الزبير وابن عمر وغيرهم ممن يجب أن يرجع إليهم فى ذلك الأمر ، ولا يذكر حجر وأصحابه بجانبهم ، لأنه لم يكن لهم فيه ناقة ولا جمل

وقد يقال إن حجراً وأصحابه كانوا على حق فى ثورتهم للعن على رضى الله عنه ، ولكن حقهم فى ذلك يضيع بما كانوا يذهبون إليه من لعن عثمان ومعاوية ، وقد كان منهم عمرو بن الحمق الذى كان يزعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه ، على أن كثيراً من المؤرخين ينكرون ما روى من أن بنى أمية كانوا يلعنون علياً على المنابر ، وقد ذكر من روى ذلك أن الحسن طلب إلى معاوية فى صلحه معه أن يكف عن شتم على فلم يجبه إليه ، فطلب ألا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ولكنه لم يف به ، ولا أدرى كيف يعقل هذا مع أن معاوية كان قد جعل الأمر بعده للحسن ، وما أظن الذى كان يتلى على المنابر يتعدى لعن قتلة عثمان ، فكانت شيعة على ترى أنهم يقصدونه بذلك ، وكان يؤلمهم ذلك اللعن ، لأن كثيراً منهم اشترك فى ذلك القتل

عبد المتعال الصعيدى

عليه أم لكثرة ذنوبه ؟ ويذكره ذلك بأيام الصبا فى كنفهما فيتحسر على تلك الأيام الذواهب ، كما كان يتحسر عليها الأقدمون من الشعراء ، ثم يذكر همته التى طمحت إلى المجد فكبا دونه سالكا فى ذلك سبيل الاستعارة ، فإذا المجد جبل مرهوب المناور أملى الشباب عليه أن يرقاه ولا زاد له إلا الأعصاب والفصحى فتمزقت كفه ودميت قدماه ، ولكن لا عجب فقد تكشفت له محنة الأكفياء ونكبة الأدباء فى هذا البلد العجيب

— ٢ —

ولو أنك نظرت إلى هذه المعانى التى طرقها الشاعر لم تجد فيها شيئاً جديداً يمكن أن نعده من سمات الشعر الجديد إلا انتحاءها ناحية اليأس المرير يطالعك فى مطلع القصيدة ويصاحبك فى كل بيت من أبياتها حتى تأتى على آخرها

عافى الله الأستاذ حبيب الزحلاوي إذ يقول « إن الشعر روح وإن الحياة الشعرية التى لا تفيض بالنعمة ولا تشيع السرور بالنفس والفرحة بالوجود ليست بحياة »[1]

وأى أمل نرجوه فى شعر يدعو إلى اليأس ويثبط الهمة ويجعل الدنيا ليلاً حالكا

لم يبلغ الأمل البعيد قال لليأس القريب
أصبحت رسماً حافلاً باليأس والصمت الرهيب

هذه النغمة التى تفيض على القصيدة من أولها إلى آخرها هى من أبرز سمات الشعر الجديد . كأن الشاعر لا يعرف قدره إلا أن شاع فى شعره اليأس والحزن والأسى

نعم ... لقد ردد القدماء بؤس الأديب وشقاء من أدركته (حرفة الأدب) ورأينا هذا المعنى كثيراً فى شعر الخريمى وأبى تمام وأبى العلاء ولكننا لم نر منهم شاعراً يناقض شعره حياته ويقول غير ما يحس ، لم نر منهم من كان فى حياته راضياً وفى شعره ساخطاً كما نرى فى هذه الأيام . بل رأينا من كان فى حياته وشعره راضياً كأبى نواس ، أو فيهما ساخطاً كأبى العلاء . أما التلفيق بين رضا الحياة وسخط الشعر فبدع لم نره إلا عند سادتنا شعراء هذا الزمان

(١) العدد ٥٦٣ من الرسالة

إنك لترى الشاعر فى أيامنا هذه وحياته كلها مرح ولهو ومجون وانبساط ، فإذا أمسك القلم لينظم رأيت الدموع والحسرات واليأس المر كأنه لا يكون شاعراً إلا إذا ركب زورقاً من الأحزان فى بحر من العبرات

إن شاعراً كعبد الحميد الديب — رحمه الله — إذا شدا فى شعره بالبؤس والشقاء فلا بدع ، لأنه كان بائساً شقياً فهو يصور حاله التى يعانيها ، ويصف حياته التى يقاسيها — وهذه هى مهمة الأدب

أما شاعر كطاهر أبو فاشا — وهو معروف بمرحه ولهوه وازدحام حياته بأساليب المزح والدعابة — فلن نقبل منه هذا الشعر القاتم الحزين الذى تلمحه حتى فى عنوان ديوانه (الأشواك) فتحس منه الوخز وتلمس الدماء ... وما أحسب هذا الشعر إلا أثراً من آثار التقليد بين شعرائنا المحدثين من الشبان . سرى فيهم فسموا دواوينهم (ألحان الألم) و (الدماء) وغير ذلك من الأسماء

نعود إلى قصيدتنا فنقول إنها خالفت الشعر الجديد أيضاً فى وضوحها . فليس فيها فكرة غامضة كهذه الأفكار التى يكتظ بها هذا الشعر ، ومعجب من الأستاذ البشبيشى أن يضع هذا الغموض بجانب ما فى شعر أبى تمام والمتنبى والمعرى وابن هانىء وشوقى والزهاوى من عقد فى الخيال حيرت الباحثين أزماناً[2]

شتان يا سيدى ما بين غموض منشؤه عمق الفكرة ودقة التصور ، وغموض منشؤه خطأ الفكرة وفسادها . هذا غامض لأنه يحتمل كيت وكيت من أوجه التأويل والتخريج وكلها صائب . أو لأنه عميق بعيد الغور حتى إذا كشفت عن معناه وأسفر لك وجهه هششت له وانشرح صدرك

أما ذاك فغامض ، لأنه لم يُبن على أساس من الفكر الصحيح فهيهات أن ينكشف لك فيه وجه — لأنه لا وجه له — إلا مع تعسف لا يحتمله اللفظ ولا تطيقه العبارة

هل قرأ أستاذى البشبيشى بيت أبى تمام فى الخمر :

جهمية الألفاظ إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

(١) الرسالة العدد ٥٦٤